الإسلام وحقوق الإنسان

د/ قدور سلاط
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة

الإسلام وحقوق الإنسان:

1- **الإسلام رسالة إلى الإنسانية جميعا:** فهو رسالة انسانية في امتدادها، حيث تجاوزت الحدود الوهمية بين البشر، وفي مقاصدها فكل ما تهدف إليه هو خدمة الإنسان، وكذا في تشريعاتها فما جاءت به من تشريعات فهي لمصلحة الإنسان ولإسعاده في الدنيا والآخرة، فهي رسالة للعالمين لا تشمل عرقا دون آخر، ولا لونا دون لون، ولا جهة دون أخرى، ولا هي محدودة الزمان ولا المكان قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2] وقال: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[3]، كما أن الغايات التي قصدتها الشريعة في أحكامها جاءت لخدمة هذا الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو جنسيته.

ولا يفهم من دعوة الإسلام إلى إقامة أمة متميزة بأهدافها وقيمها ومناهجها، ذات رسالة متميزة بمقوماتها ومثلها وخصائصها، أن الإسلام دين منغلق على نفسه، وأن أمته تعيش لنفسها ومتقوقعة على ذاتها، لا تهتم بغيرها من الناس صلحوا أو فسدوا، اهتدوا أو ضلوا، ارتقوا أو هبطوا، كلا فالإسلام منذ فجر دعوته كان رسالة عالمية ودعوة للناس كافة ورحمة لكل عباد الله، عربا

كانوا أو عجماً ولكل بلاد الله شرقا كانت أو غربا، وإلى جميع الألوان بيضا كانوا أو سوداً.[4]

ففي القرآن المكي نقرأ آيات كريمة من كتاب الله تقرر بوضوح عالمية الدعوة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[6]، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾[7]، ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[8]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[9]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[10]، وأمة الإسلام مكلفة بحمل هذه الرسالة العالمية إلى العالم، فلا يجوز لها أن تحتكر الخير والنور لنفسها، بل عليها أن تسعى في هداية الآخرين، فهي خير أمة أخرجت للناس، لأنها تسعى لجلب الخير للناس ونهيهم عن المنكر ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[11]

فهي لم تخرج لنفسها، بل خرجت للناس ولهداية الناس، ولنفع الناس وإصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا ما فهمه الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه حين سأله رستم زعيم الفرس أيام القادسية، لماذا جئتم؟ أو من أنتم؟ قال «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، هكذا هي رسالة الإسلام كما وصفها هذا الصحابي، رسالة عالمية إنسانية، ورحمة وعامة تشمل جميع البشر، ودعوة إلى الخير لا تستثني أحدا.

2 . **رسالة الإسلام هي إسعاد الإنسان:** إن المقصد الرئيسي لهذا الدين هو جلب المصلحة للإنسان ودفع المضرة عنه، وأن المقاصد الضرورية التي جاء الإسلام للمحافظة عليها (الدين، النفس، العقل، النسل، المال) ما هي إلا للمحافظة على الإنسان وكرامته في الدنيا والآخرة.

فما جاء الإسلام إلا لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لأجل إقامة حياة أفضل في شتى المجالات، حياة تقوم على الفضيلة وتتطهر من الرذيلة، حياة

قائمة على التعاون بدل التناحر، التراحم بدل التظالم، والإخاء بدل العداء، حياة يسودها السلام والوئام بدل الصراع والنزاع والحروب، حياة يتمتع الإنسان فيها بمعاني الحرية والمساواة والعزة والكرامة، بدل أن يختنق من ضغط العبودية والتفرقة والعنصرية والطبقية والقهر والهوان، هذا كله ليتهيأ الإنسان لأداء رسالته الحقيقية في الوجود، وهي عمارة الأرض ويستمتع بنعم خالقه، وأن يكون باراً بالإنسانية التي هي أسرة واحدة أبوها آدم وأمها حواء، قال ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب » وعبر عن ذلك الشاعر بقوله:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي

وهكذا يجد كل فرد في المجتمع البشري إحساس عميق في نفسه يشده نحو أخيه الإنسان، الذي يجتمع معه في وحدة الأصل الإنساني، وبذلك يسعى لإسعاده ويحذر من إشقائه.

إن الفهم الصحيح لهذه الحقوق هو المنطلق الصحيح لإقامة مجتمع إنساني كما أراده الله تعالى.

- مجتمع الناس جميعا لا امتياز فيه لشخص ولا لطبقة ولا لجنس أو لون أو لسان أو عرق.

- مجتمع لكل فرد فيه حقوق ثابتة وعليه واجبات لغيره، يتبادلها أفراده فيما بينهم انطلاقا من وحدة الأصل، وانطلاقا من رابطة الأخوة الإنسانية التي تجمع تحتها الجميع دون استثناء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[12]

3 . **الأهداف الإنسانية التي جاء بها الإسلام:** قلنا أن الإسلام رسالة إنسانية في مقاصدها وغاياتها، ويتضح ذلك فيما يلي:

ا- **تحرير الإنسان من العبودية للإنسان:** يهدف الإسلام من دعوته إلى التوحيد الخالص ومقاومة الشرك بكل ألوانه ومستوياته إلى أن يكون الإنسان حرا، حيث يريد تحريره من العبودية للإنسان ومن العبودية للأشياء أو الأوهام، وهو بذلك يهدف إلى إسقاط الآلهة المزيفة التي يقدسها الناس ويتخذونها أربابا

من دون الله، أو مع الله قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[13]

وكانت الآية التي ختم بها الرسول الكريم رسالته إلى قيصر والمقوقس والنجاشي وغيرهم من أمراء النصارى ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[14]

وكانت هذه الكلمة ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله » إيذانا بميلاد جديد للبشرية، فلا يتأله بعضهم على بعض، ولا ينحنى بعضهم لبعض ولا يسجد بعضهم لبعض، ارتفعت الجباه فلا تسجد إلا لخالقها، واستقامت الظهور فلا تركع إلا لبارئها وعز الناس فلا يذلون إلا لله الواحد القهار.

الله وحده هو الذي تتجه إليه القلوب راجية خائفة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[15]، وهو الذي تمتد إليه الألسن والأيدي سائلة ضارعة، وهو الذي يملك وحده العطاء والمنح والخفض والرفع والحياة والموت.[16]

وهو وحده الذي يملك حق التشريع المطلق للبشر، بحكم خلقه إياهم وإمدادهم بالنعم التي لا تحصى، فهو الذي يملك أن يحرم عليهم وأن يحل لهم، فهو الذي له الحكم وله الخلق والأمر

قال تعالى: «﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[17]

ب- العدالة الإنسانية: ومما دعا إليه الإسلام إقامة العدل بين الناس كل الناس، فليس عدلاً للعرب وحدهم، ولا للمسلمين وحدهم إنما عدل للناس كلهم جميعا.

يقول تعالى في بيان أهداف الرسالات السماوية ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[18]، وهكذا تبين الآية أن إرسال الرسل وإنزال الكتب إنما كان لتحقيق هدف أساسي هو أن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي يعطي لكل ذي حق حقه، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[19].

هكذا بهذا التعميم إذا حكمتم بين الناس لا بين المسلمين فحسب.

وقد أمر الله المؤمنين أن يقوموا بالقسط شهداء لله، لا يمنعهم من ذلك عاطفة حب لقريب أو بغض لبعيد، فالعدل يجب أن يكون فوق صلة القرابة والبعد، وفوق عواطف المحبة والكره ويجب أن يكون لله سبحانه وتعالى

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[20]

فهذا هو عدل الإسلام، عدل لا محاباة فيه، عدل مع من تحب ومن تكره، ولو كان أحد والديك أو أقرب أقربائك، بل لو كان نفسك ذاتها ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[21] وهو العدل مع من تكره من الناس ممن يحملون لك (الشَنَآنُ)، ولكن هذا لا يجوز أن يحمل المؤمن على الظلم، فإن الله لا يحب الظالمين.

ج- **السلام العالمي:** إن الإسلام هو أول دين وأكمل تشريع، خطا خطوات إنسانية مباركة في سبيل إقرار السلام العالمي، ورسم لذلك مبادئ وقعد قواعد لاستقراره، ووضع له أدق الضمانات لإدامته، ومن تلك القواعد والمبادئ التي قام عليها السلام[22]

1- القضاء على روح التعصب العنصري على أساس أن الله خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا على ما فيه خير البشر جميعاً، لأن الناس أصلهم واحد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[23] وقال: «﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾[24].

وهو بذلك يربي أتباعه على تقديس الأخوة الإنسانية، ونبذ التعصب الممقوت الذي يدفع إلى الخصام والنزاع والقتال.

2- طبع النفوس بروح التسامح وحب السلام قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[25]

3- أوجب الوفاء بالعهد الذي يحفظ السلام ويعمل على إقراره ويبعث في النفوس الطمأنينة، ويحرم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[26]

وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[27]

4- غرس في قلوب أتباعه أن الحرب ليست غاية في ذاتها بل هي حرب من أجل السلم

5 ـ إن الإسلام يربي المسلم على السلام في ضميره، ثم في محيط أسرته، ثم في وسط الجماعة ثم ينتقل الإسلام بالسلام ويطبقه في الميدان الدولي بين الأمم والشعوب، لأنه لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام، لذا كان السلام في الإسلام من أرقى الآداب التي حرص على تنشئة الفرد المسلم عليها منذ نعومة أظافره.

4 . **نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة مبدئية وليست ظرفية:** ما جاء الإسلام إلا لخدمة الإنسان السيد المكرم، فكل أحكامه تهدف لذلك، فإذا كانت الحرب العالمية الأولى التي فتكت بالإنسان أعقبتها عصبة الأمم التي تنادي بضرورة تحقيق مصير الشعوب المغلوبة، وإذا كانت الحرب العالمي الثانية لما رأت من خراب وما جنته من ويلات على الشعوب أعقبها تأسيس هيئة الأمم التي تنادي بحقوق الإنسان، وكأن الحرب وما تركته من خراب هي التي أيقظت ضمير العالم لينتبه لهذا الإنسان، ويعرف أن له حقوقا ينبغي مراعاتها، وتوضع لذلك قوانين حتى وإن كانت في غالب الأحيان بقيت مجرد قوانين لا تمس واقع الإنسان الأليم، وبعيدة كل البعد عن التطبيق الواقعي لهذه الحقوق.

أما الإسلام فنظرته إلى الإنسان نظرة مبدئية منذ أن ربطت الأرض بالسماء بواسطة جبريل أمين الوحي، حيث جاءت الآيات الأولى تتكلم عن الإنسان المكرم، وعن العقل والعلم اللذين هما ميزة الإنسان السيد. فكل ما جاء بعد ذلك من تعاليم الإسلام كانت كلها خادمة لهذا الإنسان السيد المكرم قال تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات» وهذا التكريم هو تكريم لأصل الإنسان حتى وهو نطفة في بطن أمه، ثم تكريم له في مختلف مراحل حياته، بل حتى بعد موته، تكريم ليس للونه ولا لعرقه ولا لعقيدته بل لآدميته.

فإن النصوص التي تعلي رتبة الإنسان لم تجعل علة ذلك اللون أو العرق أو حتى العقيدة في كثير منها، بل هي تتحدث عن هذا التكوين البشري قبل النظر إلى لونه أو دينه، وليس صحيح على الإطلاق أن تلك الحفاوة القرآنية من نصيب المسلمين دون غيرهم، لأن النصوص واضحة في ذلك فهي تارة تتكلم عن الإنسان مطلقا، وتارة أخرى تتحدث عن بني آدم، وتارة أخرى يتوجه الحديث إلى الناس جميعا، وهذا التعميم والإطلاق لا تخفى دلالته على ذي لب منصف، فنحن لا نشك أن هناك كرامة ينالها الإنسان من عقيدته قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[28] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[29]، وهناك كرامة أخرى ينالها الإنسان بسعيه وبذله وجهده قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[30]، وقال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[31]، وأوسع هذه الكرامات وأعمها وأدومها تلك الكرامة التي ينالها الفرد منذ ولادته، بل منذ تكوينه جنينا في بطن أمه، كرامة لم يؤد لها ثمنا ماديا ولا معنويا ولكنها منحة السماء التي منحته فطرته، والتي جعلت كرامته وإنسانيته مقترنين في شريعة الإسلام[32].

فشريعة الإسلام ظل ظليل وحصن حصين لكل فرد من البشر أبيض أو أسود، فقير أو غني، ذكر أو أنثى، مسلم أو كافر، فالكل يشملهم هذا السياج من الصيانة، فيه تصان دماؤهم فلا تسفك وأعراضهم فلا تنتهك وأموالهم فلا تغتصب، ومساكنهم فلا تقتحم وأنسابهم أن تتبدل وضمائرهم أن يتحكم فيها قسرا، إنهم في حمى محمي وحرم محرم ولا يرتفع عنهم ذلك الحصن حتى يرفعوه هم عن أنفسهم بارتكاب جريمة تنافي تلك الحصانة، وهو

بجريمته برئ حتى تثبت عليه الأدلة التى لا شك فيها، وهو بعدها لا يفقد الحصانة كلها لأن جنايته تقدر بقدرها، وعقوبته لن تتجاوز حدها، بهذه الكرامة يحمي الإسلام أعداءه كما يحمي أبناءه وأولياءه... إنه يحمي أعداءه في حياتهم ويحميهم بعد موتهم [33].

هذه هي النظرة التي ينظر بها الإسلام إلى الطبيعة البشرية، وهي التي دفعت به إلى قلوب الملايين من البشر دون إلحاح في الدعوة إليه ودون قهر أو إلزام ومازالت تدفع به إلى قلوب الملايين الأخرى الذين يشعرون في ظل شرائع أخرى أنهم ليسوا في مستوى بشري واحد مع غيرهم.

حقوق الإنسان في الإسلام:

1ـ **الحق لغة:** الحق ضد الباطل، وكل حق يقابله واجب، والحق في اللغة: الثابت، واليقين، والواجب [34].

2. **الحق اصطلاحا:** هو مصلحة مقررة شرعًا أو قانوناً.

فالحق مصلحة تثبت للإنسان، أو لشخص اعتباري، أو لجهة أخرى.

والمصلحة: هي المنفعة. ولا يعد الحق إلا إذا قرره الشرع في الدين، أو القانون أو النظام والتشريع والعرف.

فالحق: هو مصلحة ومنفعة قررها المشرع، لينتفع بها صاحبها، ويتمتع بمزاياها، وبالتالي تكون واجباً التزاماً على آخر يؤديها، أو على جهة تلتزم بها.

وقد يكون الحق مقرراً وثابتاً بنظام، أو قانون معين، أو تشريع خاص، أو إعلان دولي، أو اتفاقية دولية، أو عقد، وأهم مصادره ما يمنحه الله تكرما وتفضلا منه، كحق الانتفاع بالطبيعة، وحقوق الإنسان في التملك، والتعلم، والحرية، والتفكير، وسائر حقوق الإنسان [35]

3 . **تعريف حقوق الإنسان:** بينا سابقا تعريف الحقوق، وأنها جمع حق، وهو مصلحة مقررة شرعاً أو قانوناً تثبت للإنسان والإنسان هو أحد أفراد الجنس البشري، أو هو كل آدمي، مهما اختلفت صفاته، فهو آدم وحواء ومن تولد

منهما، والمكون من جسم وعقل وروح، دون النظر إلى التفاوت في سائر الأعراض الأخرى، سواء أكان ذكراً أم أنثى، كبيراً أم صغيراً، غنياً أم فقيراً، أبيض أم أصفر أم أسود، فهو الرجل والمرأة مهما كانت صفاتهم [36].

هذا هو الإنسان في نظر الإسلام، إبن آدم دون تمييز عنصري، كما كان يدّعي الرومان والنازية والفاشيستية، ودون تميز عرقي كما يدّعي دعاة القوميات، ودون تميز ديني كما يدعي اليهود، دون تميز لوني كما كان في جنوب أفريقيا وتضمره أمريكا وأوروبا في تمييز الرجل الغربي الأبيض حصراً، ودون تمييز طبقي، كما تدعيه الرأسمالية والشيوعية، ودون تمييز حزبي، كما تصنفه الأحزاب السياسية، ودون تمييز إقليمي كما تطبقه معظم الدول المعاصرة، وتفرق بين المواطن والمقيم والأجنبي.

فحقوق الإنسان هي منح إلهية من الله الخالق البارئ للإنسان، بمقتضى فطرته التي فطره الله عليها ليكون خليفة في الأرض، ويمارس جميع ما وهبه الله له في الحياة الدنيا، وينعم بجميع المصالح التي تعود عليه بالنفع والخير، وتدفع عنه السوء والشر، فهي حقوق شخصية للإنسان وهي مطلب مصون ومقدس للناس جميعاً على مستوى الأفراد والجماعات [37].

وتشمل حقوق الإنسان أنواعاً عدة، أهمها الحقوق الأساسية كحق الحياة، وحق المساواة أمام الشرع والقانون، وحق الحرية، وحق التدين أو الاعتقاد، والحقوق السياسية كحرية الرأي والتعبير، وحق الشورى أو المشاركة في الحكم والسلطة، وحقوق الأسرة.

طبيعة حقوق الإنسان في الإسلام:

قبل الخوض في الحقوق التي جاء بها الإسلام ينبغي أن نشير إلى أن هذه الحقوق متميزة عما يرفعه الناس من شعارات حقوق الإنسان ويظهر ذلك:

1- أنها ليست منحة من ملك أو حاكم أو مجموعة محلية أو دولية وإنما هي حقوق إلهية مصدرها رب العالمين، رب الناس أجمعين، حيث لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل.

2- أنها ليست خاصة بشخص دون شخص ولا بقطر دون قطر، ولا بزمان دون زمان، بل تشمل الجميع في كل زمان ومكان، فهي حق للجميع لا يجوز الاعتداء عليها ولا يمكن التنازل عنها.

3. هذه الحقوق ليست وليدة اليوم ولا وليدة ظروف قاهرة، بل هي حقوق أولية، مبدئية تضمنتها الشريعة الإسلامية منذ أن ربطت الأرض بالسماء عن طريق جبريل عليه السلام، فهي حقوق ملازمة لكل حكم شرعي جاء به هذا الدين.

(إن الإعلان عن حقوق الإنسان في الإسلام واعتباره المخلوق المكرم الذي يستحق الخلافة والسيادة في الأرض، كل ذلك ليس من تقرير الإنسان بل تدبير رب الإنسان، ذلك ما جاءت به النصوص بكل وضوح، وعندما مارس الفقهاء اجتهاداتهم فإنهم وجدوا أنفسهم يقفون بفكرهم على أرضية صلبة ورحبة، بل على بناء عظيم أقامته تلك النصوص ورفعت به هامة الإنسان شامخة إلى عنان السماء.

وتقرير هذه الحقوق من قبل الحكمة الإلهية والعدالة الربانية، ليس معناه تخدير المشاعر وتبرير الاستسلام والخضوع والتواكل، بل إنه يرفع مرتبة حقوق الإنسان إذ يجعلها مستمدة من العقيدة، ويجعل الإيمان حارساً عليها دافعاً إلى الحفاظ عليها والنضال من أجلها.. وميزان الله تعالى لا يحيد ولا يحيف ولا يزيغ، فلا يظلم عرقاً ولا فئة ولا طبقة ولا حزباً.. إن رب الناس ملك الناس إله الناس هو الذي يقرر الحقوق بحكمته وعدالته للناس أجمعين، فاختلاف الألسنة والألوان من آيات الله في البشر لا مبرر استعلاء وعصبية)[38]

4-حين شرع الإسلام حقوق الإنسان لم يقف فيها عند حدود التوصيات، وإنما ارتقى بها إلى درجة اعتبارها من الفرائض والواجبات، ولكن لا كالفرائض والواجبات التي تلزم جانباً من جانبي العلاقة، وإنما هي ملزمة لجانبي العلاقة على حد سواء.

لقد عرفت الحضارة الإسلامية هذه الحقوق، ومارستها قديماً لا كمجرد حقوق للإنسان وإنما كفرائض إلهية وتكاليف وواجبات شرعية تفرض على كل من تتعلق به مراعاتها؛ فمن جانب صاحبها - الإنسان - لا تعد هذه مجرد

حقوق للإنسان، يباح له أن يتنازل عن أي منها، إذا هو أراد. وإنما هي - جميعها - فرائض إلهية، وتكاليف شرعية[39] لا يجوز لصاحبها أن يتنازل عنها.

هذا من جهة صاحبها، أما من جهة الدولة فإن الدولة مسؤولة عن مراعاة تلك الحقوق، وإن الحاكم مسؤول عن تأمينها وضمانها للمواطنين[40].

حق تقرير المصير في الإسلام:

لا أريد هنا أن أخوض في حقوق الإنسان المعروفة عند الجميع، وإنما سأقتصر على حق تقرير المصير، لأن الكثير يعتبر هذا الحق وليد العصور المتأخرة، التي جاءت بها عصبة الأمم وهيئة الأمم كنتيجة للحروب واستعمار الشعوب.

لقد رفض الإسلام نظام استغلال الشعوب الأخرى، وهو يرفض أن يؤخذ به رفضاً نهائياً، ولذلك فهو لم يعترف ولم يأخذ بنظام الاستعمار، ولم يأخذ بنظام الاحتلال العسكري، ولم يأخذ بنظام الحماية العسكرية، ولعل ذلك مرجعه إلى أنها بوصفها نظاماً وبوصفها دينا تقوم على العدل والشورى والمساواة [41]

وقد أقر الإسلام مبدأ حق تقرير المصير، وعند تدقيق العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فإننا نجد أنها أكدت على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بشكل إنساني وأخلاقي ومن ذلك:

1- **حق تقرير المصير في القرآن الكريم:** وردت العديد من الآيات القرآنية تثبت هذا الحق ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾[42] أي لا يجرأ أحد على الدخول في الإسلام فإن ذلك راجع إلى اختيار الشخص والجماعة يقررون مصائرهم في حرية تامة.

وقد جاء في سبب نزول الآيةعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: (كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾)[43]. و(المقلات): التي لا يعيش لها ولد.

وقوله: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[44]، فقد أرسله إلى قومه فعليه هدايتهم وليس ذلك في وسعه[45]، فالرسول ﷺ مكلف بالتبليغ وتبيان الحق وليس عليه بعد ذلك إن خالف الناس ما جاءهم به، لأنهم سيتحملون تبعات ذلك وحسابهم على الله قال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[46]

2- **أهل الذمة وحق تقرير المصير**: وهم أهل الكتاب الذين يعيشون في الدولة الإسلامية وهؤلاء يقررون مصيرهم بأنفسهم، فعند قبولهم الجزية، فإنهم يمارسون حريتهم الدينية والسياسية والاقتصادية ويتمتعون بحماية المسلمين.

وبناء على ذلك فإن الإسلام ضمن لأهل الذمة حق تقرير مصيرهم ولم يتعرض لعبادتهم والمعاملات الجارية بينهم، على الرغم من أنهم يعيشون داخل الدولة الإسلامية، وإن الدولة تتكفل بحمايتهم ومساعدتهم وإعانتهم في حالات معين (وإذا كانت بعض الدول في الوقت الحاضر تمنح بعض المناطق حكما ذاتيا أو فيدراليا لظروف خاصة بهم إلا أن شعوب هذه المناطق لا يتمتعون بحق تقرير المصير، وإنما يخضعون للنظام العام للدولة بصورة عامة، دون أن يعفوا من التكاليف التي تخص مواطن الدولة وأنهم يتمتعون ببعض الخصوصية فتطبق عليهم بعض القواعد المحددة التي تخصهم بينما نجد أن الإسلام قد منح أهل الذمة قدراً من الحرية في تطبيق القواعد التي تخصهم مع إعفائهم من بعض التكاليف التي تخص الإسلام وخاصة الإعفاء من الخدمة العسكرية في الدفاع عن الدولة وإذا كان أهل الذمة يدفعون الجزية فإن المسلمين يدفعون مقابل ذلك الزكاة وهي ضريبة الوطن تفرض على الجميع [47]

3 . **عدم التدخل في شؤون الدول**: منع النبي ﷺ المسلمين من التدخل في شؤون الدول وتركها تقرر مصيرها، فقد ورد عنه أنه قال: دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ»[48].

وفي رواية واتركوا الحبشة ما تركوكم» [49].

ويفهم من ذلك أن الإسلام وضع قاعدة مفادها ترك الدول وشأنها ما دامت لا تتعرض للمسلمين.

4 . **حق تقرير المصير بالنسبة للكيانات التي دخلت الإسلام:** أبقى النبي ﷺ ملوك وأمراء وشيوخ الممالك والإمارات والقبائل التي دخلت الإسلام وأرسل إليهم من الصحابة لغرض تعليمهم الديانة، ومن ذلك ملك عمان جيفر الجندلي فقد راسله النبي ﷺ وأبلغه أنه إن أسلم فإنه سيبقيه في ملكه، وكان النبي محمد ﷺ قد أرسل إليه عمرو بن العاص في شؤون الدين، وكذلك المنذر بن ساري ملك البحرين فقد جاء في الرسالة التي أرسلها النبي محمد ﷺ «وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عمل وهوذة بن علي ملك اليمامة، فقد جاء بالمذكرة التي أرسلها النبي محمد ﷺ إليه فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يدك»[50]

ومما سبق نلاحظ أن الإسلام حريص كل الحرص على ترك الناس في اختيار مصائرهم سواء ما تعلق منها بالدين أو الدينية دون تدخل في ذلك سواء تعلق الأمر باختيار الدين أو النظم السائدة عندها، فالإسلام يهمه أن يتعايش مع غيره في سلم ووئام قبل أن يهمه تحديد مصائرهم لأن رسالة الإسلام ومهمة المسلمين ليس أسلمة الناس وإنما دعوتهم بالحسنة وتركهم يقررون مصائرهم والذي يحرص الإسلام عليه أن يسود السلام بين الناس سواء أسلموا أم بقوا على دينهم ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[51]

ملخص:

جاء الإسلام لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لأجل إقامة حياة أفضل في شتى المجالات، حياة قائمة على التعاون بدل التناحر، التراحم بدل التظالم، والإخاء بدل العداء، حياة يسودها السلام والوئام بدل الصراع والنزاع والحروب، حياة يتمتع الإنسان فيها بمعاني الحرية والمساواة والعزة والكرامة، بدل أن يختنق من ضغط العبودية والتفرقة والعنصرية والطبقية والقهر والهوان، هذا كله ليتهيأ الإنسان لأداء رسالته الحقيقية في الوجود، وهي عمارة الأرض ويستمتع بنعم خالقه، وأن يكون باراً بالإنسانية التي هي أسرة واحدة أبوها آدم كما عبر عن ذلك الشاعر بقوله:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي

وهكذا يجد كل فرد في المجتمع البشري إحساس عميق في نفسه يشده نحو أخيه الإنسان، الذي يجتمع معه في وحدة الأصل الإنساني، وبذلك يسعى لإسعاده ويحذر من إشقائه.

الهوامش:

---

(1) سبأ 28

(2) الأنبياء 107

(3) الأعراف 158

(4) مقال للقرضاوي: الدعوة إلى عالم إنساني متعاون، مجلة المعارج، العدد 67، سنة 2005، ص 150

(5) الأنبياء 107

(6) الفرقان 1

(7) ص 87- 88

(8) الأنعام 90

(9) الأعراف 158

(10) سبأ 28

(11) الأعراف 158

(12) الحجرات 13

(13) التوبة 31

(14) آل عمران 64

(15) الإسراء 57

(16) مقال الدعوة إلى عالم إنساني متعاون، المعارج، ص 154

(17) الأنعام 114

(18) الحديد 25

(19) النساء 58

(20) النساء 58

(21) المائدة 8

(22) مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب والعلاقات الدولية والإنسانية، ص 65 – 66

[23] النساء1

[24] الحجرات 13

[25] فصلت 34

[26] المائدة 1

[27] الإسراء 34

[28] الحجرات 13

[29] المنافقون 8

[30] الأحقاف 19

[31] هود 3

[32] مواطنون لاذميون: فهمي هويدي، ص 81

[33] نظرات في الإسلام: محمد عبد الله درّاز، ص 164 (ممكن مواطنون لاذميون)

[34] المعجم الوسيط 1/ 178.

[35] حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق، ط1، 1992، ص25، وأنظر حقوق الإنسان في الإسلام، محمد الزحيلي، دار الكلم الطيب دمشف، ط2، 1997، ص101

[36] حقوق الإنسان في الإسلام، الزحيلي ص11.

[37] حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة حولها، نعمان عبد الرحمان الحقيل، دد، الرياض، ط3، 2000، ص15

[38] مواطنون لاذميون: فهمي هويدي، ص 99 نقلا عن حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر والقانوني الغربي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض

[39] د. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق - القاهرة ط1 /1998 ص83.

[40] الحكومة الديمقراطية أصولها ومناهجها، فاضل الصفار، دار المحجة البيضاء - بيروت - ط1/ 1997 ص233.

[41] الشريع الإسلامية والقانون الدولي، حامد سلطان، مجلة القانون والعلوم السياسية، الحلقة الدراسية الثانية بغداد، يناير 1969 ج1 الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1972، ص 73

[42] البقرة 256

[43] رواه أبو داود، باب الأسير يكره على الإسلام

[44] النور 54

[45] زبدة التفسير في فتح الغدير، ص 523

[46] يونس 41

[47] حقوق الإنسان في الإسلام: سهيل حسين الفتلاوي، دار الفكر العربي بيروت، ط1، 2001، ص 22

[48] رواه أبو داود، ح(4302) والنسائي، ح (3176) والبيهقي، ح(19068)، وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود

[49] فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي، مطبعة مصطفى محمد، مصر 1984، ص 117

[50] السفارات النبوية: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي، العراق بغداد، 1989، ص 128

[51] (يمكن الرجوع إلى مواطنون لاذميون ص 99)